(٦)

مذبحة جنين البطلة !(١)
بأي لغة أتكلم ؟

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

بأي لغة أتكلم ؟ !

لا أدري بأي لسان أنطق ، وبأي لغة أتكلم . أأتكلم بلغة الرثاء والبكاء؟ وعندي والله مخزونٌ من الدموع ، أريد أن أُفيضه ، أريد أن أبكي ، وأن تبكوا معي على حال هذه الأمة ، لا نريد أن نبكي على الأرواح التي أُزهقت ، ولا على المساجد التي دُمّرت ، ولا على المنازل التي خربت ، ولا على الدماء التي سفكت ، ولا على الشهداء الذين سقطوا صرعى في سبيل الله .

لا نريد أن نبكي على ضحايانا وعلى خسائرنا في فلسطين ونحن نشاهدها كل يوم ، وكل ساعة . لم يعد لنا عذر كما كان لأسلافنا من قبل حينما تحدث هذه الحوادث ، ما كانوا يشاهدونها ، كانوا يعرفونها بعد أشهر ، أو أكثر من أشهر ، ولكنّا نشاهدها اليوم أولا بأول . فما لنا لا تذرف العيون عبرات ؟ وما لنا لا تذهب النفوس حسرات؟ وما لنا لا تئن الصدور زفرات ؟

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٣ هـ ، الموافق : ١٢ إبريل ٢٠٠٢م . وكان لها صداها ودويها الهائل في الدوحة وفي الخليج وفي فلسطين وفي كل مكان وصل إليه صوت الفضائية القطرية .

OBEIKAN.COM

أنبكي؟! علام نبكي؟ أنبكي على إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا في فلسطين الصامدة المجاهدة؟ أم نبكي على أنفسنا؟ نبكي على حالنا ونحن نشاهد هذه الأحداث، ولا نملك أن نفعل شيئا، لا نستطيع أن نذهب إليهم لنقف بجوارهم، ونؤدي لهم واجب الإسلام في النصرة، فـ« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[1]، و« المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه ؛ اشتكى كلّه »[2].

نبكي على أنفسنا ونحن عاجزون هذا العجز؟ أم نبكي على هذه الأمة ؛ على الثلاثمائة مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين؟ وهم كما وصفهم الحديث الشريف كثرة « كغثاء السيل »[3]. أو كما قال الشاعر :

يملؤون الأرض من كثرتهم ... ثم لا يُغْنُوْنَ في أمر جلل

وكما قيل :

إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، وأحمد في المسند (١٩٦٢٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، عن أبي موسى.

(٢) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير المتفق عليه، ونصه :« ترى المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.... » رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد في المسند (١٨٣٧٣)، عن النعمان بن بشير.

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان، وفيه : قال رسول الله ﷺ :« يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ». فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء (ما يحمله السيل من وسخ) كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ». فقال قائل : يا رسول الله! وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت ». رواه أحمد في المسند (٢٢٣٩٧) عن ثوبان، وقال محققوه : إسناده حسن، وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/١)، وسعيد بن منصور في السنن (٢٨٩٧) (٣٢٠/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وإسناد أحمد جيد (٥٦٣/٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

أنبكي على حال الأمّة ؟ أم نبكي على حال حكّامنا الذين اتخذوا الكرسي ربّا ، فاتّخذهم الكرسي عبيدا ، الذين أرضَوْا أمريكا وأسخطوا ربهم ، وأسخطوا شعوبهم؟ أنبكي على حكام تخاذلوا ، وزعماء استخذوا ، واجتمعوا في قمّة بعد قمّة ، ولكنهم لم يقدموا لهذه المأساة شيئا يُذكر .

أأتكلّم أيها الإخوة بلغة البكاء والرثاء كما تكلم أبو البقاء الرندي ، الذي رثى الأندلس حينما سقطت آخر مدنها غرناطة في قصيدته الشهيرة ، التي قال في ختامها :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

نعم : إن كان في القلب إسلام وإيمان .

أأتكلم بلغة البكاء والرثاء! أم بِلُغةِ الشكوى؟ وكثيرا ما يُضْطَرُ الإنسان إلى الشكوى ، كما قال الشاعر :

شكوتُ وما الشكوى لمثليَ عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

أتكلم بلغة الشكوى ! والله إني لأشكو ثم أشكو ثم أشكو :

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني بها كبدا ليست بذات قروحِ

أباها عليَّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علّة بصحيح؟

لمن نشكو؟

ولمن نشكو؟ لهيئة الأمم! لمجلس الأمن! وقد أصبحت أدواتٍ في يد أمريكا، مجلس الأمن الذي يحفظ أمن العالم ؛ أصبح لعبة في يد أمريكا ، الفيتو الأمريكي يلاحقنا ، حتى حينما طلب المجلس مراقبين دوليين لأجل فلسطين ، قال الفيتو الأمريكي : لا . كل شيء يمس إسرائيل من قريب ، أو بعيد فأمريكا ضده بالمرصاد ، لمن نشكو؟! كثير من زعمائنا يشكون إلى أمريكا نفسِها ، إذا حدث شيء سارعوا بالسفر إلى أمريكا ، أو للقاء السفير الأمريكي ، وأمريكا

OBEIKAN.COM

هي الخصم والحكم ، أمريكا هي التي تقف ضدنا ، أمريكا هي التي تسند إسرائيل بالمال والسلاح ، والتأييد المادي والأدبي ، الرئيس الأمريكي اعتذر عن شارون ، وما يفعله شارون . وقال : إنه رئيس لبلد ديمقراطي انتخبه شعبه ، وهو ينفذ ما يريده شعبه . وهل إذا انتُخب رجل من شعبه ؛ من حقه أن يعتديَ على شعب آخر؟! وأن ينتهك حرماته ويدوس مقدّساته؟! والشعب الفلسطيني اختار عرفات ، لماذا كان لشارون الحق أن يفعل ما يشاء؟ يا مستر بوش ليس من حق شعب أن ينتهك حرمات شعب آخر ، هذا هو موقف أمريكا ، كيف نشكو لأمريكا ، وأمريكا هي الخصم والحكم .

إنما نشكو إلى الله :

أم نشكو إلى من لا يُشكى إلا إليه ؟! نشكو إلى من شكا إليه يعقوب عليه السلام حينما قال : ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (يوسف:٨٦). اللهم إنا نشكو إليك دماءً سُفِكت ، نشكو إليك أعراضا هتكت ، نشكو اللهم إليك حرمات انتهكت ، نشكو إليك مساجد خُرِّبت ، ومدارس عُطِّلت ، وبيوتا دُمرت ، وأطفالا تيتّمت ، ونساء تأيّمت ، وأمهات ثَكِلتْ ، وبُرَآء سقطوا ، نشكو إليك اللهم هذا كلَّه ، ونشكو إليك حكّاما خذلونا ، ونشكو إليك جيوشا تملك الكثير الكثير بالمليارات من الأسلحة ، ولم تستعمل منها شيئا ، نشكو إلى الله . . إلى الله شكوانا . وقديما قال أسلافنا : الشكوى لغير الله مذلة .

بل نعتز ونفتخر :

أنتكلم بلغة البكاء؟ أم بلغة الشكوى؟ أم بلغة الاعتزاز والفخر؟

من حقّنا أن نعتز ونفخر بالشعب الفلسطيني ، بأبناء هذا الشعب ، هؤلاء الأبطال . حيّوا شعب فلسطين ، حيّوا هؤلاء الذين قال فيهم بنو إسرائيل من قبل: ﴿ **إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ** ﴾ (المائدة:٢٢).

حيّوا الشعب البطل ، الذي قدّم الأنْفُس والنفائس ، وضحّى بكل شيء من أجل كرامته ، وكرامة هذه الأمّة . حيّوا أبطال جنين الذين وقفوا أمام الجيش ؛ الجيش الشاروني الصهيوني بكل ما يملك من عَتَادٍ وقوة ، بما يملكون من أسلحة ضئيلة وقليلة وكان شعارهم :(القتال حتى الموت). وقال أخونا البطل أبو الهيجا ـ هناك في جنين ـ عن جيش صهيون المدجج بالسلاح : (إنه جيش من كِرْتُون والله)، وصدق الله العظيم : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (البقرة:٩٦) ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ (الحشر:١٤)، وقراهم المحصّنة : الدبابات يختبؤون فيها ، لا يواجهون هؤلاء الأبطال ، وظلّوا ثمانية أيام صابرين مصابرين مرابطين ، حتى نَفِدَتِ الذخيرة . . أجل نفدت ذخيرتهم ، حتى آخر رصاصة في جعبتهم ، وما أكثر الذخائر والرصاص والأسلحة المكوّمة في المخازن في بلادنا العربية والإسلامية .

ماذا نقول أيها الإخوة ؟ ! نحيّي هؤلاء الأبطال ، أبطال جنين ونابلس وطولكرم ورام الله ورفح والخليل ، وكل هذه المدن وكل هذه المخيّمات ، التي (صدّرت) لنا أبطالا أعادوا لنا أمجاد : خالد وطارق وصلاح الدين ، حيّوا هذا الشعب ، حيّوه برجاله ونسائه ، بأبنائه وبناته ، بآبائه وأمهاته ، حيّوا (آيات الأخرس)[1] التي أخرست كل من يتحدّث بسوء عن هذا الشعب ، التي أنطقت بفعالها ـ أنطقت الحجارة ـ حيّوا هذا الشعب ، حيّوا الأمهات اللاتي تستقبل الواحدة منهن شهيدها بالزغاريد . حيّوا الآباء الذين يرفضون أن يستقبلوا المُعزِّين في أبنائهم ، وإنما يستقبلون المهنّئين . حيّوا الشعب الفلسطيني بكل فئاته ، وشكرًا لهذا الشعب ؛ لقد أثبت أن هذه الأمة لا تزال حيّة ، ولا يمكن أن تموت ، أن هذه الأمة إلى خير ، أثبتوا أننا أحياء ، أثبتوا لنا أنّ الدم لا زال

(١) الشهيدة «الأخرس» من مواليد ٢٠-٢-١٩٨٥ ، كانت طالبة في الصف الثالث الثانوي ، وهي الرابعة بين أخواتها السبع وإخوانها الثلاثة ، عُرفت بتفوقها الدراسي ؛ وقامت بعملية استشهادية في ٢٩/٣/ ٢٠٠٢م .

يجري في عروقنا ، اشكروا هذا الشعب ، وحيّوا هذا الشعب ، وادعوا من أعماقكم لهذا الشعب .

نتكلم بلغة الاعتزاز للشعب الفلسطيني ، ونعتزُ كذلك بالشارع العربي ، بالشباب العربي والإسلامي ، الذي تجاوب مع هذه الانتفاضة من جاكرتا إلى الرباط ، هذا الشباب الذي يغلي وينفجر كالبركان ، ويهيج كالإعصار ، هؤلاء الشباب الذين رأيناهم في مصر ؛ في شوارع القاهرة والإسكندرية والزقازيق وطنطا والمنصورة وكفر الشيخ ، من أسوان إلى الإسكندرية ، ينادون . . افتحوا لنا الحدود ، افتحوا لنا الحدود . حيوا شهيد الإسكندرية ، الطالب الذي مات في سبيل هذه القضية ، حيوا شهيد البحرين ، وحيوا الشباب الذي خرج في مسيرات[1] يعبر عن سخطه ، ويعبر عن نقمته ، ويعبر عن طموحه .

في يوم المسيرة القطرية من عشرة أيام ، وجدتُ شابا لا يشارك في المسيرة ، وقلت له : لماذا لم تشارك معنا ، فذرفت عينه الدموع ، وقال : أرى إخواني وأخواتي يُذبّحون ويُقتَّلون ، ويكون كل همِّي أن أصيح في الشوارع ، لم يُرضه هذا ، إنه يريد أن يجاهد ، ولكن ما حيلة الأمة ، حَيُّوا هؤلاء الذين خرجوا في هذه المسيرات ، صحيح المسيرات لا تستطيع أن تغير شيئا ، ولكنها تعبير ، نريد للناس أن يتنفّسوا ، نريد أن نشعر الحكام : أن الأمة لها إرادة وتريد شيئا ، وأن الأمة إذا أرادت لا يستطيع أحد أن يقف في سبيلها ، حيّوا هذه المسيرات في قطر وفي عُمَان وفي الكويت وفي البحرين وفي الشارقة وفي دبي وفي غيرها من البلدان ، بلدان الخليج وبلدان العالم ، حيّوا المسيرة المليونية في الخرطوم ، والمسيرة المليونية في الرباط ، نحيي كل من وقف غاضبا من أجل

---

(١) يعترض البعض على تسيير المسيرات ، وخروج المظاهرات ، وقد رد فضيلة الشيخ على هؤلاء في فتوى مطولة ، نشرها موقع الشيخ (qaradawi.net) وكذلك موقع إسلام أون لاين ، وتظهر قريبا إن شاء الله ضمن : فتاوى معاصرة الجزء الرابع .

الحق يريد أن يثبت وجوده ، حيّوا هؤلاء جميعا ، كل من قدم شيئا لهذه القضية نحييه ، حيّوا العراق الذي أوقف ضخ النفط ثلاثين يوما قابلة للتجديد إذا لم تتغير الأوضاع ، حيّوا العراق الذي وقف فريدا في هذه القضية ولم ينضم إليه أي قُطْر آخر ، وقال من قال : إن قطع النفط يضرنا ولا ينفعنا ، لا والله لن ينفعنا ، إذا ضاعت كرامتنا ، إذا دِيست حقوقنا ، إذا أصبحنا كالأنعام نساق كما يريد الجزّارون لنا ، ليس هذا في مصلحتنا . إذا لم نفعل كما فعل العراق ، فلنفعل ما طلبناه في بيان المسيرة الشعبية في قطر ، تخفيض إنتاج النفط ، خفضوا إنتاج النفط خمسين بالمائة ، ماذا يضر؟! في وقت من الأوقات كان النفط يباع بعشر ريالات ، وأعلنت الدول النفطية التقشف ، وخفضت ميزانيتها أمام هذا ، ليكن هذا ، ألا تستحق كرامة الأمة وحقوق الأمة هذا الأمر ، أين الملك فيصل رحمه الله؟ حينما قال للأمريكان وللغربيين : إننا مستعدون أن نعود إلى حياة الخيام ونكتفي بالتمر واللبن ولا نفرط في كرامتنا! نريد هذا اللون من الرجال . ألا يوجد هذا اللون من الرجال؟!

بماذا نتكلم أيها الإخوة ، بلغة البكاء والرثاء؟ أم بلغة الشكوى؟ أم بلغة الاعتزاز والفخر والحماس؟ ونقول ما قاله الفرزدق من قبل :

أولئـك آبـائي فجـئني بمثلـهم إذا جمعتنـا يـا جريـر المجـامع

وأنا أقول :

أولئـك أبنـائي فجـئني بمثلـهم إذا جمعتنـا يـا جريـر المجـامع

هؤلاء أبناء الأمة ، أبناء العروبة ، أبناء الإسلام .

أم نستنهض ونستصرخ ؟

أم نتكلم بلغة الاستنهاض والاستصراخ؟ نستصرخ القادرين من هذه الأمة ، نستصرخهم أن يقفوا موقفا رجوليا ، يليق بشهامة العرب ؛ العرب عُرِفوا

بالنجدة والشهامة ، وإذا استجار بهم مُجير قالوا : نعم . إذا قالوا له نعم نجيرك ، بذلوا كل شيء ، يقول قائلهم :

ولا أقول : نعـــم يومـــا وأتبعهـــا بلا ولو ذهبـــت بالمـــال والولـــد

إذا استجار بهم مجير أجاروه ، ولو بذلوا في ذلك الأرواح والأموال ، لكن عرب اليوم كما قال الشاعر :

المســـتجير بعمـــرٍ عنـــد كربتـــه كالمستجير من الرمضـــاء بالنـــار

يا عرب ! يا عرب اليوم ! أين أمجاد العرب وبطولات العرب ؟ العرب في سنة ثمانية وأربعين دخلوا بجيوشهم السبعة ، كانت الجامعة العربية سبعة دول ، وكان عمرها ثلاث سنوات . دخلت الجيوش العربية السبعة لتحارب في فلسطين ، وحاربوا حوالي سنة ، أتعجز الجامعة العربية وقد أصبحت اليوم أكثر من عشرين دولة ، وتملك ما تملك من أسلحة ؛ تعجز أن تقف ضد هذا التجبر الصهيوني ، إنه الجبن ، إنه الفشل ، إنه الخوف ، إنهم زعموا أن إسرائيل قوة لا تقهر ، أسطورة شاعت ، ولكن هذه الأسطورة كذبها الواقع ، كذبها صراعنا مع إسرائيل ، انتصرنا عليها في العاشر من رمضان سنة ثلاثة وتسعين ، حينما أحسنّا التخطيط وأحسنّا التدبير ، واعتمدنا على الله ، وكان شعارنا : الله أكبر . . انتصر عليها حزب الله في لبنان ، وخرجت من الجنوب اللبناني ، انتصر عليها أبناء الانتفاضة هذه . قال شارون : في مائة يوم ؛ أقصاها مائة يوم سأقضي على هذه الانتفاضة . ومضت مائة ثم مائة ثم مائة ثم مائة ، والانتفاضة تزداد قوة على قوة ، كذبت . . خسئت يا شارون ، يا شارون الملعون ، يا شارون السفاح ، خسئت وكذبت ، ستظل الانتفاضة ما دام هذا الشعب باقيا ، وما دام هذا الدم يجري في عروقه ، دم العروبة والإسلام ، دم الإيمان ، ما دام يجري في عروقه ؛ ستظل هذه الانتفاضة .

معهم أمريكا ومعنا القوة التي لا تقهر :

لماذا يخاف زعماء العرب هذا الخوف من مقاومة إسرائيل؟ يقولون : إن وراءها أمريكا . فليكن وراءها أمريكا ، معها أمريكا ومعنا القوة التي لا تقهر ؛ قوة الله عز وجل ، ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ (الطارق:١٥،١٦)، ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران:٥٤) ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ (الحشر:٢) ، نحن أصحاب الحق ، والحق لا بد منتصر ، وصاحب الحق لا يفكر هذا التفكير ، إنه حينما يُعتدى عليك ، أو على أهلك ؛ على زوجتك ، على ابنتك ؛ لا تفكر فيما يملك عدوك ، تفكر أن تقاتل ، وتتمنى لو خرجت شهيدا ، وفي الحديث : « مَن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومَن قُتل دون أهله فهو شهيد ، ومَن قُتل دون ماله فهو شهيد »[1] ، نحن نقاتل دون ديننا ، دون أهلينا ، دون دمائنا ، دون أموالنا ، نقاتل دون كل المقدسات التي يقاتل من أجلها الناس ، ونقاتل شرّ قوة في الأرض ، وأعتى قوة في الأرض ، إنها قوة بني صُهيون ، نقاتل الاستعمار العنصري الإحْلاليّ الاستيطاني ، الاستعمار الذي يطرد أهل البلد ، يَحِلّ محلهم ، كان هناك استعمار استيطاني في الجزائر ولكنه لم يكن إحلاليا ، استوطن الجزائر مع أهلها ، لم يطرد أهلها منها ، أمّا هذا الاستعمار فهو إحلالي ، يريد أن يستوطن وأن يطرد أهل البلاد ، وشارون الآن يريد أن يفعل ما فعله « بيجن » قديما ، حينما أقام المذابح الرهيبة فأرعبت الناس وتركوا قراهم وديارهم ، أهل فلسطين تعلموا الدرس ، لم يتركوا قُراهم ، ولن يتركوها أبدا ، لن يدعوا هذه البيوت والقرى ، ولو تحوّلت إلى مقابر .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٥٢) عن سعيد بن زيد ، وقال محققوه : إسناده قوي ، والترمذي في الديات (١٤٢١) ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في تحريم الدم (٤٠٩٤) ، وابن ماجه في الحدود (٢٥٨٠) مختصرا ، ورواه البخاري في المظالم (٢٤٨٠) عن عبد الله بن عمرو ، ومسلم في الإيمان (١٤١) ، وأحمد في المسند (٦٥٢٢) مختصرا .

أين أنتم يا عرب؟!

نستنهض الدول العربية أن تقاتل كما قاتلت سنة ثمانية وأربعين ، سنة ثمانية وأربعين لم تدع الفلسطينيين يدافعون عن أنفسهم وكان هذا هو الأولى ، الآن بعد أن أصبحت إسرائيل خمسة ملايين ، وأصبحت تملك ترسانةً هائلة من أسلحة الدمار ، والأسلحة النووية ، والأسلحة التقليدية ، والأسلحة المتطوّرة . الآن تركوا الشعب الفلسطيني المسكين يأكلها وحده ..! يقاوم هذه القوة وحده ، أين أنتم يا عرب؟! أين الجامعة العربية؟! أين رابطة العروبة؟! أين الدفاع العربي المشترك؟! لا أثر لهذا حتى اليوم ، إذا لم تستطيعوا أن تقاتلوا بأنفسكم فاسمحوا للمقاتلين أن يذهبوا ، اسمحوا لهم . . والله لقد سمعت إحدى الفتيات في لقاء في مصر تقول : افتحوا لنا الحدود وسترون ماذا نصنع ، فتاة تقول هذا ، سترون ماذا سنصنع؟

وفي الشباب خير :

والله إن الشباب يغلي . وقد جاءني أحد الشباب من قطر يقول : أريد أن أجاهد ، أنت قلت : إن الجهاد أصبح فرض عين ، وأريد أن أسقط الفرض عنّي . قلت : هو فرض عين لمن يقدر عليه ، لمن يستطيعه ، وستمنعك دول الطوق ، قال : سأحاول ، وأنا أريد أن أذهب . وأن أعلن هذا ؛ من يريد الذهاب إلى الجهاد فليأت معي بشروط كذا وكذا وكذا . قلت : لن تمنعك دول الطوق فقط ؛ بل ستمنعك دول الطريق إلى الطوق وأنت ذاهب بسيارتك ورافع علم الجهاد ، هل تسمح لك هذه الدول أن تمرَّ في أرضها؟ وهو ما وقع بالفعل يالله ، الشباب في كل مكان يقول : افتحوا الحدود ، غُضّوا الطرف عمّن يتسلل من الحدود ، ليس من الضروري أن تكون هناك جيوش وكتائب كبيرة ، اسمحوا .. لا تشدّدِوا ليدخل هؤلاء الشباب الراغبون في الجهاد والاستشهاد ، ولكن دول الطوق لا تسمح ، لا تسمح بأن ينفذ هؤلاء ليصل لمساعدة إخوتنا في فلسطين . إلى

متى تظل هذه الأمة هكذا؟ اسمحوا للشباب أن يذهب إلى هؤلاء ، ابعثوا بالأسلحة إلى الانتفاضة ، سلِّحوا الانتفاضة ، سرِّبوا الأسلحة إلى الانتفاضة إلى المقاومة ، إلى فصائل المقاومة ، هؤلاء الشباب . . كتائب عز الدين القسام ، سرايا القدس ، كتائب شهداء الأقصى ، فصائل المقاومة المختلفة ، نحييهم ولكنهم في حاجة إلى أسلحة ، سيسجل التاريخ العار على هذه الأمة ، حينما نفذت ذخائر أبناء جنين واضطرّوا للاستسلام وجرفتهم الجرّافات ، ودّفنوا تحت الأنقاض ، وأُخفيت المعالم ، إسرائيل تفعل هذه الجرائم ثم تخفي المعالم ، ولكن التاريخ لن يرحم ، والله تعالى بالمرصاد .

ماذا نستطيع أن نقدم؟

نستطيع أيها الإخوة أن نفعل أشياء كثيرة ، إذا لم نستطع الجهاد العسكري الذي أصبح فرض عين على كل من يقدر عليه ، فليكن هناك أنواع أخرى من الجهاد نستطيع أن نقوم بها .

الجهاد السياسي :

تستطيع الأمة أن تقوم بالكثير ؛ من ذلك الجهاد السياسي . وأدنى هذا الجهاد أن نقطع كل علاقة بهذا الكيان الصُهيوني،سواءٌ كانت علاقة اقتصادية..سياسية .. تجارية .. ثقافية .. سياحية ... سمّوها ما تسمّونها ، هذه العلاقات إثمٌ وعار ، إثم وعار . إثم من الناحية الدينية ، وعار من الناحية القومية ، لا يجوز أن يبقى في بلد عربي ولا بلد مسلم صلةٌ بإسرائيل ، أي صلة ولا علاقات دبلوماسية . لا نريد أن تظل بيننا وبينهم أي قناة ، لا بد من قطع العلاقات ، لا بد من طرد السفراء ، لا بد من إغلاق السفارات ، لا بد من سحب سفرائنا هناك ، هذا هو أول الواجبات وأضعف الإيمان ، ألا يكون بيننا وبين هؤلاء صلة ، بأي وجه نلقى الله ، بأي وجه يتحدَّثُ عنّا التاريخ ؛ وإخواننا يلقون ما يلقون ، ويعانون

OBEIKAN.COM

ما يعانون ، ونحن نفتح الأبواب لمن يمثلون الصهاينة الغادرين السفاحين الجزّارين ، هذا هو الجهاد السياسي .

الجهاد الاقتصادي (المقاطعة) :

وهناك جهاد اقتصادي وهو أن نُفعِّل الفتوى التي أصدرتُها وأصدرها معي عدد من علماء الأمة بتحريم التعامل مع البضائع الإسرائيلية والأمريكية ؛ المقاطعة ، مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية . هذا واجب الأمة ، كل ما يشير إلى أمريكا ، مجرد الإشارة حتى لو كانت وطنية ، (كولا) كلمة (كولا) يعني أمريكا ، (همبرجر) ، (ماكدونالدز) ، (بيتزا) ، هذه الأشياء أمريكية ، ارحمونا منها . . كلما رأيت هذه العناوين ثارت نفسي ، وثار البركان في صدري ، نريد أن تقاطع الأمة هذه البضائع ، من زجاجة (البيبسي) إلى السيارة ، إلى الطائرة البوينغ .

نطالب الحكومات ، و نطالب الشعوب : أن تقاطع هذه البضائع ، وأن تنظم اللجان الشعبية لتفعيل هذه المقاطعة ، وترتيب الأولويات فيها ، كل ما له بديل يجب أن يقاطع ، ما الذي يجعلني أركب سيارة أمريكية ؛ وأستطيع أن أشتري سيارة يابانية ، أو سيارة ألمانية؟ لن أخسر شيئا . هذه المقاطعة واجبة على الجميع ، الكبير والصغير . وفي أول الانتفاضة رأينا العجب والله ؛ رأينا الصغار الأبطال يقولون لآبائهم وأمهاتهم : لا يا أبي لا يا أمي ، هذه بضاعة أمريكية . . حرام . رأينا الإخوة في الهند في كيرلا يجتمعون في يوم جمعة مثل هذا ، وكل واحد في يده زجاجة كوكاكولا ويكسرها إشارة إلى المقاطعة .

ما الذي جعل الأمة تسترخي؟ نريد من الأمة ؛ من رجالها ونسائها ؛ من الأمهات في البيوت ألا يشترين البضائع الأمريكية ، وربما تكون هناك بضائع

إسرائيلية . . تتسلل تحت أسماء وعناوين أخرى . . . من عرف ذلك فعليه أن يقاطعها ، وأن ينبه غيره عليها .

شراء البضائع الأمريكية أو الإسرائيلية كبيرة!

شراء البضائع الأمريكية أو الإسرائيلية حرامٌ . أيُّ حرام؟! حرام ؛ بل كبيرة من الكبائر : أن تشتري في هذا الوقت البضائع الإسرائيلية والأمريكية . هذا جهادٌ ، نوع من الجهاد ، لا بد أن نفعله ونتواصى به .

الجهاد بالمال :

وهناك جهاد آخر ، الجهاد بالمال ، الله تعالى يقول : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٤١)، القرآن دائما[1] يقدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس ، لأنه لا يمكن أن يستمر جهادٌ إلا بالمال . إخواننا يجودون بأنفسهم ، يضعون رؤوسهم على أكفهم ويقدّمونها رخيصة في سبيل الله ؛ أفنبخل نحن بأموالنا ، علينا أن نبذل هذه الأموال ، الأموال من الزكوات المفروضة ، لأنها في سبيل الله ، وهم فقراء ، وأبناء سبيل ، ويستحقون الزكاة من أكثر من وجه . وأموال الصدقات التطوعية ، من يريد أن يقدم شيئا يضعه في رصيده عند الله ، وأموال الصدقات الجارية ، الأوقاف ، يمكن أن نعطيهم من ثمار الأوقاف يمكن أن نعطيهم أموال الوصايا ، وصايا الأموات ، وصايا أبيك وجدِّك ، وحتى الأموال المشبوهة ، من اجتمع له مال من فوائد في البنك ، أو نحو ذلك فهذا مصرفها ، هي حرام عليك حلال لإخوتك في فلسطين ، علينا أن نبذل من أموالنا ، وشكر الله للإخوة الذين نظموا ذلك في أكثر من بلد ، وأول أمس نظمت قطر جمع

---

(١) لم تسبق النفس المال في القرآن إلا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة: ١١١) .

هذه التبرُّعات ، وتبرَّع الأمير وولي العهد من أموالهم الخاصة بعدة ملايين ، ولا زالت الأمة تنتظر المزيد ، وعلينا أن نقدم لهؤلاء المواد الإغاثية ، والمواد الطبية ، بكل وسيلة ممكنة .

الجهاد الثقافي :

هناك الجهاد المالي ، وهناك الجهاد الثقافي ، وأعني بالجهاد الثقافي : أن تتغير الحياة الثقافية للأمة ، هذا الذي نراه في وسائل الإعلام ، الأغاني والرقص ، وهذه الأشياء ، كيف نغني ونرقص وإخوتنا يقدمون هذه التضحيات يوما بعد يوم؟ هذه المآسي التي نشهدها ، والتي تقشعرُّ لهولِها الأبدان ، وتشيب لهولها الولدان ، كيف نسبح بهذا الكم من الأغاني والأفلام والمسلسلات؟ آن لهذه الأمة أن تعرف أننا في وقت جِد ، وأوقات الجِدّ لا بد أن تُقابل بمثلها ، حينما قُتل كليب بن ربيعة ؛ آلى[1] أخوه المهلهل بن ربيعة على نفسه أن يمتنع عن كل طيّبات الحياة ، وألا يخلع ثوبه عن بدنه ، وقال في شعره :

ولست بخالعٍ درعي وسيفي إلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ

وحينما هُزِمَ المشركون من قريش في بدر ، آلى أبو سفيان ، وحلف على نفسه ألا يمسَ امرأته ، ولا يمسه ماء لغسل من جنابة حتى يثأر من محمد وأصحاب محمد[2] .

هكذا كان العرب ، كيف نعيش نحن هذه الحياة العادية؟ أعراس ومهرجانات ، وسباقات وأشياء ؛ كأننا لسنا في حالة حرب ، كأننا لسنا في كارثة حقيقية ، يالله ! ماذا جرى لهذه الأمة يا قوم؟ ماذا جرى للناس؟ أليس فينا أحاسيس تشعر؟ ماذا نقول؟! ننادي حكامنا وزعماءنا؟ فهل لحكامنا وزعمائنا

---

(١) حلف وأقسم .

(٢) كان ذلك في غزوة السويق ، وكانت في ذي الحجة سنة ٢ هـ. راجع سيرة ابن كثير (٢/٥٤٠).

OBEIKAN.COM

آذان تسمع ؟ وإذا كانت لهم آذان فهل لهم قلوب تتوجع ؟! وإذا كانت لهم قلوب ، فهل عندهم عزائم تتشجع؟! وإذا كان عندهم عزائم ، فهل عندهم سيوفٌ تُشْهَر وأيدٍ تقطع؟!

الأمة في حاجة إلى أن تتفجر . جهاد ثقافي ، تشعر الأمة بالحزن بالأسى ، أمِن الإسلام أو من الإيمان أو حتى من الإنسانية : أن تجمع على مائدتك ما لَذَّ وطاب من الطعام والشراب ، وأن تعيش بين أهلك وأولادك ، في بيتك الظليل ؛ المُدفّأ في الشتاء والمُبَرّد في الصيف ، وإخوانك هناك قد أُخرِجوا من ديارهم؟ هناك عائلات أُخرِجت من ديارها ، ولا تعرف أين ذهب أَولادها . بالأمس سمعت الأم تقول : لا أعرف أين ذهب أولادي ، هي في مكان وهم في مكان . لم يجتمع شمل الأسرة ، ألا نُحِسُّ بآلام هؤلاء؟ الأمة الواحدة يجب أن يُحِسّ بعضها ببعض .

الجهاد الروحي :

ماذا أقول أيها الإخوة؟! الكلام كثير ، وفي الجعبة الكثير والكثير ، الجهاد الثقافي ، وهناك جهاد آخر هو : الجهاد الروحي ، الجهاد الروحي : أن نستشعر آلام إخواننا ونصطحبها دائما ، وتعيش في وجداننا ، وأن ندعو الله لهم في صلواتنا في خلواتنا ، في أسحارنا في سجودنا ، ندعو الله لهؤلاء الإخوة ، أقل ما نقدّمه إليهم أن ندعو الله لهم ، أن ندعو دعاء القنوت ، قنوت النوازل[1] الذي قرره الفقهاء عندما تنزل بالمسلمين نازلة ، ندعو في الصلوات وخصوصا الصلوات الجهرية ، وخصوصا صلوات الجمعة ، ونصلي على أرواح الغائب

---

(١) قنوت النوازل اتفق عليه جمهور الفقهاء ، والمشهور عند الحنفية وغيرهم : «نشكرك اللهم ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يَفجرُك» رواه عبد الرزاق في المصنف كتاب الصلاة (١١٠/٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف كتاب الصلاة (١٠٦/٢) ، والبيهقي في الكبرى جماع أبواب صفة الصلاة (٢١٠/٢) ، عن عمر موقوفا.

على الشهداء ؛ الذين يُدفنون بالعشرات ، ولا يُصلي عليهم أحد ، علينا أن نصلي على هؤلاء ، علينا أن نمسك بالجذوةِ بالجمرةِ ملتهبة حتى لا تستحيل إلى رماد .

إن أمتنا تملك الكثير والكثير من أنواع الجهاد ، من لم يقدر على نوع ، قَدر على نوع آخر ، كل واحد يستطيع أن يبذل من عنده ، وأن يتعاون مع إخوانه ، وأن يعيش في المأساة حتى ينتصر إخواننا ، وإنهم لمنتصرون ، إنهم لمنتصرون رغم عوامل الإحباط ، ورغم تخاذل المتخاذلين ، واستخذاء المستخذين .

رغم هذا ستنتصر الانتفاضة ، وستنتصر المقاومة ، إن لم يكن اليوم فغدا ؛ وإن غدا لناظره قريب ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا ، وسيجعل الله بعد الظلام فجرا ، ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح:٥،٦) ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج:٤٠) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧) ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم:٤٧) . أقول قولي هذا . وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم . وادعوه يستجب لكم .

* * *

QRFIKAN.COM

(٧)

الدروس المستفادة
من أحداث فلسطين والعراق[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون .

غياب بسبب المرض :

منذ ثلاثة أشهر أيها الإخوة ؛ لم يُقدَّر لي أن أعتلي هذا المنبر ، وذلك لما قدّره الله لي أن أجري عملية جراحية كبيرة[٢] ، وأحمد الله أن منّ عليّ بالشفاء منها ، وأسأله تعالى أن يتم عليّ وعليكم نعمة العفووالعافية ، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

المؤمن يستفيد من التاريخ الحافل ، ومن الواقع الماثل :

وفي هذه الأشهر الثلاثة وقعت وقائع ، وحدثت أحداث لأمتنا ، جرى بها قدَر الله تعالى ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب:٣٨) ، وفي هذه الأحداث دروس وعبر ، لا بد أن نستفيد منها . والبصير الموفق من تعلّم من الزمان ، وأخذ من أحداثه العِبَر ، ولم يغلق عقله ولا قلبه عن قراءة الأحداث قراءة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ١٣ من ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ ، الموافق : ١٣يونيو ٢٠٠٣م .

(٢) أجرى فضيلة الشيخ عملية جراحية في ركبتيه بمستشفى حمد بالدوحة في شهر إبريل ٢٠٠٣هـ ، وقامت الحرب ، وقام بإجراء العملية طبيب بريطاني ، استدعي خصيصا من لندن ، وكان الشيخ قد شارك وهو على فراش المرض بالمستشفى في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي .

OBEIKAN.COM

صحيحة ، قراءة العارف بالقلب وباللُّب ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق:٣٧) ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(يوسف:١١١)، المؤمن يستفيد من التاريخ الحافل ، ومن الواقع الماثل ، يستفيد الدروس ويعيها ويسجلها ، ليتخذ منها نوراً لحاضره ومستقبله .

الدرس الأول : قانون القوة يحكم العالم :

الدرس الأول أيها الإخوة في هذه الأحداث : أن القوة اليوم هي التي تحكم العالم ، ليست قوة القانون ، ولكن قانون القوة ، القوي هو الذي يفرض نفسه ، ويُملي إرادته ، ويُطالب الجميع أن يسمعوا ويطيعوا . هذا هو الدرس الأول .

لقد صمّمَت أمريكا أن تغزو العراق[1] ، وأن تحتل العراق هي وحلفاؤها ، ووقف العالم كله ضدها ، حتى في قلب أمريكا ، وحتى في أوروبا سارت مسيرات بالملايين تقول : لا للحرب على العراق . ولكن أمريكا سدّت أذنا من طين ، وأذنا من عجين . وأصرّت على موقفها ، ودَخلت العراق ، وغَزت العراق ، واحتَلت العراق،وليضرب كل معارض برأسه عرض الحائط؛ إن شاء.

المنطق للقوة ، وليست القوة للمنطق ، القوي هو الذي يتحكم ، الناس يقولون : القادر فاجر ؛ ما دام قادراً ؛ وليس عنده إيمان ، ولا أخلاق ، ولا ضمير ، فهو يفعل ما يشاء . إنه المنطق الفرعوني الذي يقول للناس : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر:٢٩) ، إنه التأله في الأرض ، أمريكا متألهة في الأرض ، لا تُسأل عما تفعل ، هي تَسأل الآخرين ، ولا يستطيع أحد أن يسألها . حينما قُدّم أحد جنرالاتها في بلجيكا ، لِيُسأل عما ارتكب من جرائم الحرب في العراق . قال : لا . ليس من حق أحد أن يسأل

---

(١) كان احتلال العراق في ٨/٤/ ٢٠٠٣م.

أحدا خارج أمريكا . أمريكا لا تُسأل إلا في دارها ، في قلب دارها ، ولا يسألها أحد من غيرها ، هذا هو منطق التأله[1] .

وقد صدقت مقولتنا : إن أمريكا لم تدخل العراق من أجل أسلحة الدمار الشامل ، وانتزاع أسلحة الدمار الشامل ، فقد أثبتت الوقائع التي لا ريب فيها : أن العراق لم يكن يملك أي أسلحة دمار ، وحتى بعد الاحتلال ، وبعد أن أصبح كل شيء في أيديهم ، وكشف كل شيء أمامهم ، لم يستطيعوا أن يجدوا دليلاً واحداً على أن هناك أسلحة للدمار ، الدعوى الأساسية بطلت ، فبطلت معها هذه الحرب ؛ التي قَتلت من قَتلت ، ودَمرت ما دَمرت ، وفَعلت ما فَعلت ، وإلى اليوم ، حتى إن كبير مفتشي الأسلحة ، شنّ هجوماً عنيفاً على الإدارة الأمريكية ، ووصف بعض أعضائها بأنهم قذرون ، وبعضهم بأنهم طغاة ، وأنهم عرقلوا أعمالهم ، وعاقوا ما يريدون أن يفعلوه ، وقال هذا مع أنه كان يمسك العصا من الوسط ، لا يريد أن يقول : لم نجد أي أسلحة في العراق ، خشية أن يغضب أمريكا .

الآن وبعد فوات الأوان يهاجم أمريكا ، ليس هناك دليل واحد على أن العراق كان يملك أسلحة دمار شامل ؛ وإلاّ لظهرت ، كان في آخر لحظة يحاول أن يستعمل هذه الأسلحة ، لم يستعملها ، ولم يجد الأمريكان ولا البريطانيون أي دليل على ذلك . هذا ما تبين الآن .

---

(١) يعد الشيخ القرضاوي ـ حسب علمنا ـ أول من أطلق هذا المصطلح على أمريكا ؛ ومن المعروف : أن الله سبحانه صفات لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، ومنها أنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء:٢٣)، ولما أصبحت أمريكا في عصرنا هذا ؛ تفعل ما تشاء ، ولا تريد من أحد أن يعارضها فيما تفعل ؛ فقد أطلق الشيخ عليها هذا المصطلح (التَّأله) ؛ استهزاء بها ، وسخرية من صنيعها ، وتهكما بمن مشي في ركابها.

أسباب الغزو الحقيقية :

هذا هو الدرس الأول : أن أمريكا دخلت العراق لأنها أرادت ذلك لأهداف عندها ، ليس لانتزاع أسلحة الدمار ، وليس لتخليص الشعب العراقي من صدام ، فقد أعلنوا قبل ذلك أنه حتى لو خرج صدام سيدخلون العراق ، إنما دخلت لأهداف أخرى ؛ تريد تدمير القوة العسكرية العراقية ، ليخلو الجو لإسرائيل ، وأسلحة إسرائيل ، وترسانة إسرائيل ، ولا يبقى في المنطقة أحد يملك هذه الأسلحة غير إسرائيل ، هذا ما وقع ، وهناك لاستيلاء على النفط ، هناك تغيير المنطقة كما قال «باول» من قبل ، يريدون أن يرسموا خارطة المنطقة من جديد ، وأن يُغيّروا مناهجها ، وسياساتها ، وفلسفاتها ، وأُسُس تعليمها ، حتى التعليم الديني .. إلخ ، هذا أيها الإخوة هو الدرس الأول .

الدرس الثاني : لكل ظالم نـــهاية :

الدرس الثاني ؛ هو أن لكل ظالم نهاية ، كان صدام حسين أحد الظلمة الطغاة في هذه الأرض ، وفي أرضنا العربية والإسلامية ، هذا مما لا نشك فيه ، وأنا أحمد الله أني لم أقل فيه كلمة مَدح قط ، لا قبل الحرب ولا بعدها[1] ، ولا منذ زمن طويل ، لأني ضد كلِّ حاكم ظالم مستبد ، كل ديكتاتور طاغية ، هؤلاء هم الذين يقتلون الشعب .

هذا الظلم وهذا الطغيان ؛ هو الذي مهّد لدخول الأمريكان والبريطانيين إلى المنطقة ، هو الذي سبّب ما سبّب من قبل في حرب الكويت ، وسبّب ما سبّب من قبل في حرب العراق ؛ الظلم ، والطغيان ، ولا بد للظالم من نهاية ، الناس

---

(١) هذه حقيقة لا ينكرها أحد ، وبعد إعدام صدام حسين في صبيحة عيد الأضحى ١٤٢٧هـ ، استنكر الشيخ عملية الإعدام ووقته ، وأشار الشيخ إلى التغيير الواضح في صدام ، وخصوصا في الأعوام الأخيرة ، ولم يشأ الشيخ أن يكون جلادا ، وإنما وقف موقف الداعية الذي يفتح باب التوبة أمام العصاة مهما كان ذنبهم ، فالفقيه الحق هو الذي لا يقنط الناس من رحمة الله . المكتب العلمي للنسخ .

يقولون : يا ظالم لك يوم مهما طال اليوم . لكل ظالم نهاية . الله تعالى يمهل ولا يهمل . والرسول ﷺ يقول : « إن الله ليملي للظالم » يمهله « حتى إذا أخذه لم يفلته »[1] ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:١٠٢) .

يملي له ثم يأخذه ، يقول الله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ (القلم:٤٤،٤٥)، وأحياناً الإملاء يأخذ صورة إحداث النِّعم لهم ، وإغداق الرزق عليهم ، فهو يوسع عليهم حتى يظنوا أن الله نسيهم ، وأن القدر تركهم ؛ فيزدادون طغيانا ، وعُتُوًّا وفسادا ، ثم تأتي القارعة الإلهية ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام:٤٤) فتحنا عليهم ، وهو ما يكون من النِّعم والخيرات والأرزاق ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:٤٤،٤٥) قطع دابر الظالمين نعمة يحمد الله تعالى عليها .

وقد سلّط الله الظالمين على الظالمين ، سلط الله أمريكا ـ وهي ظالمة ـ على صدام وحزبه ـ وهو ظالم ـ وهكذا ينتقم الله من ظالم بظالم وقد قالوا : الظالم سيف الله في أرضه ، ينتقم به ثم ينتقم منه! ويقول الشاعر :

وما من يد إلا يد الله فوقها ... وما ظالم إلا سيبلى بظالم

الظالم يُبتلى بالظالم ؛ ثم يأخذ الله الجميع كل في حينه ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٧٤) ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٣٢) ،

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦) ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣) والترمذي (في التفسير (٣١١٠) ، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٨١) وابن ماجه في الفتن (٤٠١٨) عن أبي موسى الأشعري .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (إبراهيم: ٤٢) .

لعل هذه عبرة لكل الطغاة :

هذا هو الدرس الثاني . ولعل الظلمة والطغاة الذين يعيثون في الأرض فسادا ، والذين يظلمون شعوبهم ، والذين يستذلون الرقاب ، والذين يهدرون الكرامات ، والذين يُعطلون الحريات ، والذين يدوسون على أعناق الشعوب بأقدامهم ؛ لعل هؤلاء الطغاة يستفيدون من هذا درساً ، ويعتبرون أن مصيرهم مصير هذا الطاغية الظالم .

ليت الطغاة والظلمة من الحكام في ديارنا العربية والإسلامية يعتبرون بما حدث لصدام حسين ، فالدائرة عليهم ، والأيام المقبلة ستنذرهم بسوء عواقبهم ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠) .

الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، ودوام الحال من المحال ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٧) إن دعوات المظلومين ، ودموع الثكالى واليتامى والباكين ، هذه لا تضيع عند الله ، إن « دعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، تُفتح لها أبواب السماء ، ويقول : وعزتي ، لأنصرنك ولو بعد حين »[1] .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

هذا المظلوم الذي يدعو عليك لن تذهب دعواته سُدى ، إن هذه الدعوات لا بد أن تعمل عملها في يوم قد يكون قريبا ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٨٠٤٣) عن أبي هريرة وقال مخرجوه : صحيح بطرقه وشواهده ، ورواه ابن ماجه في الصيام (١٧٤٢) والترمذي في الدعوات (٢٥٢٢).

﴿قَرِيبًا﴾ (المعارج:٦،٧)، فلعلّ الظلمة حيثما كانوا يعتبرون بمصير هذا الظالم الكبير ، فالدور عليهم ، والقدر لا يحابي ، وسنن الله تعمل مع الناس جميعاً ، وما جرى على ظالم يجري على آخر .

لم تُغْن عن صدام أسلحته ولا جيشه :

نعم أيها الإخوة . . . لم تغن عن صدام أسلحته ولا جيشه ، ولا حزبه ولا قصوره ؛ التي شيّدها من أموال الشعب العراقي ، ولا مخابئه التي خبّأها ولا . . ولا . . . كل هذا لم يُغن عنه شيئا ، ولم يَبك عليه أحد ، ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان:٢٥-٢٩) ، الظالم يذهب لا يبكي عليه أحد ؛ لا من أهل السماء ، ولا من أهل الأرض ؛ بل قد يودعونه باللعنات ، الألسنة التي خرست ، ولم تستطع أن تتكلم في عهد الطغاة تنطق اليوم ، وتدعو على الظالمين وتلعنهم ، فهذا مصير الطغاة ، ومصير الظالمين .

هذا هو الدرس الثاني أيها الإخوة .

الدرس الثالث : الاحتلال هو الاحتلال بمساوئه وظلمه :

الدرس الثالث ، هو أن الاحتلال هو الاحتلال ، والغزو هو الغزو بما له من آثار سيئة ، وما يَجُرّ وراءه من مظالم وآثام ، ليست هذه أول مرة تحتل فيه بغداد ؛ دار السلام كما كان يسميها الأولون ، عاصمة المنصور والرشيد والمأمون ، عاصمة الدنيا في وقت من الأيام ، عاصمة العلم والحضارة ، التي كان يتقرب إليها الملوك ، والأباطرة ، والقياصرة ، في أنحاء العالم ، التي كان يتحدى خليفتها السحابة في السماء ويقول : أيتها السحابة شرقي ، أو غربي ، وأمطري حيث شئتِ ؛ فسيأتيني خراجك! سحابة أظلت بغداد في عصر الرشيد ، ثم انقشعت عن بغداد ، وذهبت إلى مكان آخر ، وهنا قال لها الرشيد : شرقي

أو غربي وأمطري حيث شئت فستأتي ثمرة مطرك . إلى بيت مال المسلمين . إن أمطرت في بلاد المسلمين ، فستأتي في صورة زكاة ، أو بلد غير إسلامي فستأتي في صورة جزية .

بغداد في عهد هولاكو القديـــم :

هذا البلد جاء عليه يوم احتل ، وسقط في أيدي التتار ، ودخل هولاكو بغداد ، وأسقط هذه العاصمة ، وأعمل جنوده السيوف في الناس ، وكانت الدماء أنهاراً في الشوارع ، والبيوت ، وفوق السطوح ، حتى سالت الميازيب[1] دماء ، سالت الدماء أنهاراً ، احْمرّ نهر دجلة من الدماء ، وقد قتل في هذه الحرب : ألفا ألف أي : مليونان . وبعضهم قال : ألف ألف وخمسمائة ألف ، أي : مليون ونصف . وأقل ما قيل : ألف ألف يعني مليون من البشر ، وذَبْحُ مليون من البشر في ذلك الوقت ليس بالشيء القليل ، ولا الهيّن اليسير ، فقال المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل[2] وهو يحكي هذه الوقائع ، وكان معاصراً عايش مقدمات هذه الأحداث ، فقد مات قبل سقوط بغداد ، يقول : ليت أمي لم تلدني ولم أر هذه الأحداث بعيني ، جاءوا إلى بغداد ، ثم جاءوا إلى المكتبات ؛ عاصمة العلم والثقافة والحضارة ، كانت المكتبات تمتلئ بآلاف ، وعشرات الآلاف ، ومئات الآلاف من الكتب ، في كل فنّ في الدين والدنيا ، والآداب والعلوم ، أُلقِيت هذه الكتب في نهر دجلة ، حتى اسود النهر ؛ من كثرة ما كان فيه من مداد الكتب ،

---

(١) وَزَبَ الشيءُ يَزِبُ وزُوباً إذا سالَ المِيزابُ المِثْعَبُ ، فارسيّ مُعَرَّب وقد عُرِّبَ بالهمز ، وربما لم يهمز ، والجمع مآزِيبُ إذا هَمزتَ ومَيازيبُ إذا لم تَهْمِزْ ، وهي المواسير التي تعمل حتى تسقط مياه الأمطار من فوق السطوح . لسان العرب (١/ ٧٩٦).

(٢) للمزيد راجع : الكامل لابن الأثير (١٢/ ١٤٧ ، ١٤٨) ومما قاله ابن الأثير : لقد بقيت عدة سنين ، معرضا عن ذكر هذه الحادثة ، استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فأنا أُقَدِّمُ إليه رجلا ، وأؤخر أخرى! فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني! ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ! .

احمر أياماً من الدماء ، واسود أياماً من المداد ، هكذا جرت الأحداث على بغداد في أيام المغول أو التتار .

بغداد في عهد هولاكو الجديد (بوش) :

قُدّر لبغداد هذا في عصر الحضارة الإسلامية؛وفي القرن الحادي والعشرين، حينما دخل الأمريكيون بغداد ، تُرك الناهبون ينهبون كل شيء ؛ متاحف بغداد ، ومكتبات بغداد ، وجامعات بغداد ، كل شيء ترك للصوص ، والناهبين ، والنّهب المنظم . نهبت المتاحف العراقية ، وهي متاحف فيها آثار حضارات سبعة آلاف سنة ، سبعون ألف قطعة أثرية سرقت من متاحف بغداد ، جاءوا لنا ببعض هؤلاء الناس الذين ينهبون هذه الأشياء ، ولم يأتوا لنا بمن فتح الأبواب المحصّنة ، لم يصوروا لنا هذا ، من الذي فتح لهم هذه الأبواب؟

إنه نهب منظم وراءه عصابات دولية ، للأسف لم نر هيئة الأمم تحركت أو احتدت أو شجبت ؛ كما فعلت حينما دمرت طالبان تماثيل بوذا ، غضبوا لتماثيل بوذا ، ولم يغضبوا لهذه التحف والآثار الحضارية الرائعة ؛ التي تسجل تواريخ سبعة آلاف سنة ، حتى الجامعات نُهبت كتبها ، ونُهب أثاثها ، حينما جمعوا الأساتذة وقالوا لهم : ابدؤوا من أول الطريق . فقالوا : كيف نبدأ وكل شيء عُطّل ، وكل شيء نُهِب؟

هذا ما فعلته أمريكا ، أمريكا دولة القرن الحادي والعشرين ، القطب الأوحد في العالم ، ما الفرق بين هولاكو القديم وهولاكو الجديد؟ ما الفرق بين بوش وبين مَلك التتار؟ الجميع خرّبوا وهدّموا ، وأبادوا وقتلوا ، وسفكوا الدماء ، وانتهكوا الحرمات ، دمّروا البُنى التحتية لهذا الشعب العراقي ، وقتلوا من قتلوا من الناس ، ولا زال الأمر يجري إلى اليوم ، ولا ندري ماذا يكون غدا . لقد قالت أمريكا : إنها دخلت لتحرر الشعب العراقي ، وصُدمت المعارضة ؛ لأنها أعانت أمريكا في دخول العراق ، والآن تلوم المعارضة نفسها وتقول لأمريكا : كذبتم علينا . قلتم : إننا محرِّرون ، ولسنا محتلين . والآن أصبحت أمريكا

محتلة رسمياً بحكم مجلس الأمن ، إنها دولة احتلال ، وليست دولة تحرير كما كانت تقول .

ماذا يجري غداً في العراق؟

الشعب العراقي ينتظر ، بعضهم يتربص ، وبعضهم ينتظر ما فعلوه لتكوين حكومة عراقية . كيف تتكون هذه الحكومة العراقية؟ لماذا لا يدعون إلى عقد جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب؟ يضع دستوراً ، ويختار الناس بقوانين الانتخابات الديمقراطية ، التي تجري في أمريكا وبريطانيا .

لماذا لا يفعلون ذلك؟ لماذا يُعيِّنون هم حكومة بإرادتهم؟ لماذا لا يدعون الشعب يختار؟ أليس هذا هو منطق الديمقراطية؟ أن يختار الناس لأنفسهم حكامهم ، إذن هذا هو منطق الاحتلال ، منطق الاستعمار . الاستعمار القديم عاد من جديد ، بعد أن ظن الناس أنهم تحرروا من أثقاله ، وأصبحوا مستقلين ، فإذا هو يعود من جديد . أمريكا تعود من جديد ، وهي تزعم أنها لن تبقى طويلاً . ولكن ما هو الطول وما هو القصر؟ هذه أمور نسبية ، قد تبقى عشر سنين ، عشرين سنة ، ثلاثين سنة ، وتقول : هذا ليس طويلاً . هذا هو الدرس الثالث .

الدرس الرابع : دعوة الشعب العراقي للوقوف صفا واحدا :

الدرس الرابع هنا : أننا نوصي الشعب العراقي بجميع أطيافه وفئاته العرقية والدينية ، عرباً وأكراداً وتركماناً وآشوريين ، وغير ذلك من الأعراق ، أو مسلمين ومسيحيين ، أوسنيين وشيعة ، يجب أن يقفوا جميعاً صفاً واحداً ، كما قال شوقي يخاطب الحمام :

فإن يكن الجنس يا ابن الطلح فرقنا ... إن المصائب يجمعن المصابين

في هذه المصيبة لا معنى لأن يقول أحد : أنا سني ، وهذا يقول : أنا شيعي ، أو : أنا عربي ، وآخر يقول : أنا كردي أو تركماني ، يجب أن يقف

الجميع صفاً واحداً ، مصلحتهم واحدة ، وخصمهم واحد ، ومعركتهم واحدة ، يجب أن ينسوا المعارك الجانبية ، والخلافات الجزئية ، ولا يسمعوا لدعاة الفتنة ؛ أن يقفوا صفاً واحداً ، ولا يُسرفوا في الانتقام من البعثيين ، فكم هناك من آلاف من الناس انضموا إلى حزب البعث ، وهم لا يؤمنون به . حزب البعث حكم خمسة وثلاثين سنة، فالناس لا بد أن يوفّقوا بين مصالحهم وأمورهم ، أظهر كثير منهم أنهم أعضاء في حزب البعث ؛ وهم يلعنونه في داخلهم ، لا بد أن يُراعى هذا ، أما أن يُنتقم من كل من تسمى بعثياً ؛ فقد يبعد هذا عن الحق .

البعثيون الحقيقيون ليسوا إلا عدة آلاف ، أما الشعب العراقي فلم يكن بعثيا ، ولكنه كان مقهوراً تحت قبضة السلطة الطاغية ؛ التي أخرست الألسن فلم تتكلم، وأخافت الولد من أبيه ، والأب من بنيه . زعزعت الثقة بين الناس ، وزرعت الخوف في قلوبهم ؛ كما تفعل دائماً الأنظمة الطاغية ، طاغية على أبنائها ، ذليلة أمام أعدائها :

أسد عليّ وفي الحروب نعامة[1]

هذا الطغيان لم يظهر حينما دخل الأمريكان ، لقد فرّ حزب البعث ، وفرّت جيوشه ، وللأسف لم نجد من يصمد أمام هذا الزحف ، لأنه حزب علماني لا يقوم على تأسيس الإيمان في القلوب ، واليقين في النفوس ، والإيمان بقوة الله تعالى ، وبأقداره ، وبالدار الآخرة ، فلم يصمد هؤلاء .

سرعان ما انهاروا ؛ حتى فوجئنا بهذا الانهيار الذي سقط بين عشية وضحاها . أين مئات الآلاف؟ وأين الحرس الجمهوري؟ وأين فدائيو صدام؟ وأين مقاتلو

---

(١) قال هذا المثل الشاعر عمران بن حطان الخارجي المعروف ، ذكر ابن كثير : أن غزالة الحرورية ـ من الخوارج ـ لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بن شبة بالكوفة تحصن منها ، وأغلق قصره عليه . فكتب إليه عمران بن حطان ، وقد كان الحجاج لج في طلبه :

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

(الفتخاء : اللينة الجبانة) . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٠) .

الحزب؟ وأين؟ وأين؟ تبخر هذا كله ، وذهب سدى ، وضاع هباء ، لأنه لم يؤسس على الإيمان .

لا بد للشعب العراقي أن يتوحد ، وأن يقف جبهة متراصة ، وصفاً واحدا ، كأنهم بنيان مرصوص « يشد بعضه بعضا »[1]، ليس هذا أوان الخلافات والمشادات بين بعض الفئات وبعض ، هذا ما ننصح به إخواننا في العراق في هذه الآونة الخطيرة ، وهذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الشعب العراقي ، وتاريخ الأمة العربية والإسلامية .

الدرس الخامس : الدرس القديم الجديد (الانتفاضة) :

هناك درس خامس أيها الإخوة مما جرى في هذه الأشهر ، وهذا الدرس درس قديم جديد ؛ إنه درس المقاومة الإسلامية ، في أرض النبوات ، أرض الإسراء والمعراج ، إنه درس الانتفاضة ، إنه درس أولئك الذين باعوا أنفسهم لله ، ونذروها لله ، وقدموا أرواحهم رخيصة ، ورؤوسهم على أكفهم لا يبالون ما أصابهم في سبيل الله ؛ أوقعوا على الموت ، أم وقع الموت عليهم .

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي[2]

---

(١) يشير الشيخ إلى ما جاء في حديث أبي موسى « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا... » والحديث متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦) ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) وأحمد في المسند (١٩٦٢٤) والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨) والنسائي في المجتبى كتاب الزكاة (٢٥٦٠) عن أبي موسى.

(٢) من كلام خبيب بن عدي رضي الله عنه بعد أن غدر بهم بنو لِحْيان يوم الرجيع ، وقتلوا من قتلوا ، وابتاع خُبَيبا : بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف. وكان خُبَيب هو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا. فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ ، قال لهم خُبَيب : ذروني أركع ركعتين. فتركوه فركع ركعتين ، ثم قال : لولا أن تظنُّوا أن ما بي جزع ، لطوَّلتهما ، اللهم أحصهم عددا!

ولستُ أبالي حين أُقتَل مسلما على أيِّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله ، وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْو مُمَزَّع

رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٥) ، وأحمد في المسند (٧٩٢٨) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٠) ، عن أبي هريرة.

إخوتنا في فلسطين أظهروا البطولات الرائعة البارعة ، وسطروا سطور المجد والرخاء لهذه الأمة بدمائهم ، وليس بالمداد ؛ برغم طغيان شارون ، وتجبر شارون ، وما يقوم به شارون منذ سنوات وإلى اليوم ، قال شارون ـ أول ما جاء ـ : إنه سيقضي على الانتفاضة في مائة يوم ويوم ، ومرت مائة يوم ويوم ، ومثلها ومثلها ومثلها . . . ولكن الانتفاضة باقية[1] .

إن الانتفاضة تعبر عن شعب أبيّ ، شعب بطل ، شعب لا يبالي بالموت ، شعب يريد أن يعيش حراً كريما ، أو يموت شهيداً ، هذا الشعب لا يمكن أن يموت مهما حاولت دولة الكيان الصهيوني ، ومهما حاولت معها حليفتها الاستراتيجية أمريكا ، مهما حاولوا أن يميتوا الانتفاضة في هذا الشعب ، وأن يحطموا المقاومة ؛ فلن يستطيعوا .

علام يحتفي العرب ببوش؟!

لقد رأينا في الأيام الماضية : قمماً تُعقد في شرم الشيخ ، والعقبة ، وغيرهما ، وهذه القِمم بعضها كان لوناً من الاحتفال ببوش الرئيس المنتصر! الذي يجب أن يكرمه العرب! ويحتفي به العرب! لأنه انتصر على شعب عربي! فيجب أن يُكرم ، وأن يتوج ملكاً على العالم! وبعضها كان إيذاناً بمرحلة جديدة ، تريد فيها أمريكا وتريد فيها إسرائيل : أن يَقتتل الشعبُ الفلسطيني بعضه مع بعض .

هذا ما يسعى إليه الأمريكان والإسرائيليون ، خارطة الطريق هذه ليست إلا فتحاً لهذا الباب .. أسْكِتوا الانتفاضة ، أَخْرِسوا الألسنة ، قاوموا المقاومة ، لا تبقوا مع أحد سلاحاً ، لا يكون هناك قوة إلا قوة إسرائيل ، هذا ما تريده أمريكا ، وتريده إسرائيل ، ويريدون أن يوقعوا الفلسطينيون بعضهم مع بعض ، هذه هي الفتنة المرادة ، ولذلك أغروا الحكومة الجديدة بهذا الأمر .

---

(١) وشارون الآن حبيس الفراش ، قعيد المرض ، لا هو بين الأحياء ولا في عداد الأموات ، يذيقه الله من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر.

وصيتي للفلسطينيين حكومة ومعارضة :

١- ألاّ تمتد يد الفلسطيني إلا على الإسرائيلي :

وإني لأرجو من الإخوة الفلسطينيين سلطة وشعباً ، حكومة ومعارضة ، أرجو من الشعب كله أن يرفض هذه المؤامرة، وأن لا يقتل فلسطيني فلسطينياً، ألاّ تمتد يد الفلسطيني إلا على الإسرائيلي ، هذا ما نريده من الإخوة ، أعتقد أنهم جميعاً يفقهون هذا ، لا يجوز أن يُراق الدم الفلسطيني بيد فلسطينية ، الدم الفلسطيني لا يراق إلا بيد إسرائيلية ، وأعيذ إخوتنا أن تمتد أيديهم بعضهم إلى بعض ، هذا ما يجب أن يفهمه الجميع ، لا يجوز أن يسير بعضهم في الركاب ، ويقول ما يقوله الآخرون : لا بد من القضاء على حماس ، والجهاد الإسلامي . هذا ما يعزفون عليه الآن ، إن حماس والجهاد نغمة نشاز ، وعقبة في الطريق ، يجب أن تزال حتى نستطيع أن نتفاهم مع بني صهيون ، أنا أقول لمحمود عباس ومحمد دحلان ومن معهما من الوزراء : يوم تزول حماس ، والجهاد ، وكتائب الأقصى ، وهؤلاء الإخوة المجاهدون لن يبقى لكم شيء تفاوضون عليه ، أو تستمسكون به ، ستقفون في العراء المكشوف ، وليس معكم شيء ، ولا وراءكم أحد .

إن الذي دفع الصهاينة ، ودفع الأمريكان ؛ إلى أن يعرضوا خارطة الطريق : هو ما يلقونه من هذه العمليات الاستشهادية ، ومن بطولات المقاومة التي تزلزل أركانهم ، وتزعزع كيانهم ، وتزرع الرعب في قلوبهم ؛ فلا يحسّون بأمن ولا استقرار ، ولا يفكرون إلا في الفرار .

٢- ألا يُوقفوا الحوار فيما بينهم :

وأُوصي إخوتي في فلسطين ؛ أن يحرصوا على هذا ، وأن يتحاوروا ولا يتقاتلوا ، وأُوصي إخواننا في حماس : ألا يوقفوا الحوار ويظل الحوار باباً مفتوحاً للجميع ، حتى وإن خالفناهم في الرأي ؛ يجب أن نجلس معهم ، ونحاورهم ، ونبادلهم ، ويبادلونا . يجب أن يظل باب الحوار مفتوحاً ، ولكن ..

يجب أن يظل عَلَم الجهاد مرفوعاً . لماذا يطالبون الفلسطينيين أن يكفوا أيديهم ، ولا يطالبون شارون ومن مع شارون أن يكفوا أيديهم ؟

الأمر في غاية البساطة ، وغاية السهولة . هناك مشكلة وهناك حلها . المشكلة هو الاحتلال ؛ احتلال اليهود لأرض فلسطين الذي اعترف بها العالم ، لا نريد أرض فلسطين التاريخية ، لا نسأل عن حيفا ، ولا يافا ، ولا عكا ، ولا اللد ، ولا الرملة ، ولا الجليل ولا . . . ولا . . . سكتنا عن هذا ، رضينا بالظلم ، والظلم لا يرضى بنا ، ومع هذا احتلوا الجزء الباقي من فلسطين . إذا كنتم تريدون الحل ؛ اخرجوا من الأرض التي احتللتموها ، هذا منطق في غاية السهولة والبساطة ، أيها المحتلون! الذين تشتكون من المقاومة ، نحنّ نقاومكم لأنكم احتللتم أرضنا ، وسفكتم دماءنا ، وحرّقتم مزارعنا ، ودمّرتم بيوتنا ، وخرّبتم مدارسنا ، وعطّلتم مساجدنا ، وفعلتم . . وفعلتم . . فلماذا لا تتركون هذا ونحن نترككم؟

بعض الناس يطالبون الفلسطينيين بإيقاف العمليات ، قولوا هذا لإسرائيل ، قولوا لإسرائيل : أوقفوا هذه الصواريخ التي تُرمى على الناس في الشوارع ، الشوارع المكتظة ، غزة من أكثر مدن العالم اكتظاظاً وكثافة سكانية ، في الشوارع وفي الأسواق تضرب الصواريخ ، قطعاً ستصيب الناس ، يريدون أن يقتلوا واحدا ، أو اثنين من حماس ، ولكن يقتلون معه عشرات الآخرين ، ويجرحون مئات الآخرين ، لقد أرادوا أن يقتلوا أخانا البطل المجاهد الصابر المصابر المرابط الدكتور : عبدالعزيز الرنتيسي ، وقتلوا معه أناساً ، وقتلوا آخرين ونجّى الله الرنتيسي ، إن الله إذا أراد نجاة إنسان فلن يستطيع أحد أن يقتله ، ومن أراد الله قتله سيقتل ، ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران:١٥٤) ، نجّى الرنتيسي[1] ، وقبل الرنتيسي قتل

(١) نجا الدكتور الرنتيسي من هذه العملية والتي كانت في يونيو ٢٠٠٣م ، لكن الله قدر له أن يغتال في عملية أخرى ليلحق بشيخه وشيخ الانتفاضة الشيخ أحمد ياسين ، وكان ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٧م.

آخرون ، قُتل كثيرون من أبناء حماس ، ومن أبناء الجهاد ، ومن كتائب الأقصى ، ومن كتائب أبو علي ، وآخرين من الإخوة في الفصائل الوطنية والإسلامية .

إن المؤمن لا يخاف الموت بل هو يطلب الشهادة ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (التوبة:٥٢) إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة . لن يخاف الرنتيسي ، ولن يخاف الزهار ، ولن يخاف الشيخ أحمد ياسين[1] من التهديد بالموت ، والآن يهددون كل رجال حماس ، حتى الشيخ أحمد ياسين ؛ هذا الرجل الشيخ المريض القعيد يزلزلهم من داخلهم ، ويتوعدونه بالقتل وهو لا يبالي بالقتل في سبيل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران:١٦٩) .

يا أيها الإخوة في فلسطين ، يا أيها الإخوة في الفصائل المقاومة ، اثبتوا على مواقفكم ، ولا تتزحزحوا ما دام هناك احتلال ، فمن حقكم أن تقاوموا الاحتلال ، هذا لا يعارض فيه معارض ، ولا يقاومه إلا مكابر ، فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، الصبر معه النصر ، إن شاء الله ، « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن مع العسر يسرا[2] » ، وأن فرج الله قريب ، وأن نصر الله آت لا ريب فيه ، ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء:١٠٤).

---

(١) في ٢٠٠٤/٣/٢٢م اغتالت اليد الصهيونية الآثمة الشيخ أحمد ياسين رحمه الله تعالى وقد نعاه الشيخ القرضاوي في بيان تحت عنوان (شيخ الانتفاضة وأبو المقاومة وشهيد الفجر) انظر : كتاب الشيخ (في وداع الأعلام) كما أن للشيخ خطبة كاملة بعنوان (الشيخ أحمد ياسين...رجل بأمة) انظر : خطب القرضاوي (ج٦/ ٢٧٧).

(٢) جزء من حديث ابن عباس المشهور ، وهو أحد أحاديث الأربعين النووية ، رواه أحمد (٢٦٦٩) عن ابن عباس ، وقال مخرّجوه : إسناده قوي ، ورواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦) وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة (٦٣٠٣) والطبراني في الكبير (١١٢٤٣) وفي الأوسط (٥٤١٧).

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

تفجيرات الرياض والدار البيضاء :

بقي درس لا بد أن نعلق عليه ، هذا الدرس عن ما وقع في مدينة الرياض ، وما وقع في مدينة الدار البيضاء من تفجيرات ، وأنا أدين التفجيرات وعمليات العنف التي تقع في البلاد الإسلامية ، وقد نفذت هذه العمليات في بلاد شتّى فلم تؤت شيئاً ، والذين قاموا بها راجعوا أنفسهم وخطئوا أنفسهم .

في مصر هناك الجماعة الإسلامية ، والتي كان زعيمها الروحي الشيخ عمر عبد الرحمن ، وهو الآن في أمريكا فك الله أسره ، هذه الجماعة ـ وهي شقيقة جماعة الجهاد ـ قامت بعمليات عنف في مصر ، وحاولت الاغتيال ، وحاولت كذا وكذا ، ولكنها وجدت أن هذه الأعمال لم تغن عنها شيئاً ، كل ما فعلوه انتهت إلى أن آلاف منهم دخلوا السجون ، وضاع مستقبلهم ، وبقي الأمر كما هو ، هذه الأعمال لا تغير نظاماً[1] ، ولا تسقط حكومة ، حتى لو قتل حاكم ؛ كما حدث في بعض الأحيان ، يأتي حاكم ربما كان أسوأ من السابق ، فماذا فعلت؟

رب يـــوم بكيـــت منـــه فلمـــا صـــرت في غـــيره بكيـــت عليـــه

---

(١) يرفض فضيلة الشيخ التغيير بالقوة لما له من سلبيات مضرة ، ولمعرفة رأي الشيخ بالتفصيل راجع كلا من : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص ١٦٧ وما بعدها ، والصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ، ص ٣١٨ وما بعدها. وغيرها .

OBEIKAN.COM

ولذلك راجعت الجماعة الإسلامية نفسها ، وأصدرت عدة كتب سمتها : «سلسلة تصحيح المفاهيم» وخطّأت نفسها ، وقالت : إن الجهاد الذي قمنا به لم يكن له فائدة ، إلا ما حدث لنا وما حدث لبلدنا . . . إلخ .

ولذلك أنا أقول : إن مثل هذه العمليات ليس لها فائدة ، ولكنها تقتل أناساً مسالمين وبرآء لا ذنب لهم ، ليس كل من قُتل في الرياض أمريكان ، وليس كل من قتل في الدار البيضاء أمريكان ، أو أجانب ، وليس كل الأجانب يجوز أن تقتله ، القتل له شروط معينة ، هناك أناس نسميهم المستأمنين ، دخلوا في أرضنا ، والمستأمن لا يجوز أن يمس ، ولا يجوز أن يهدر دمه ، وقد ضرب الإخوة مما ضربوا نادياً بلجيكياً ، مع أن موقف بلجيكا كان موقفا جيدا ، كانوا ضد الحرب في العراق ، وهي تريد أن تحاكم شارون ، وأن تحاكم بعض جنرالات أمريكا ، فأخذوا الحابل بالنابل .

العنف لا يحارب بالعنف :

هذه الأمور لا بد لها من فقه ، لا بد من فقه نيّر بصير ، هذا العنف لا يأتي بنتيجة ، ولا يُؤْتي أُكُلاً ، والذي يستفيد منه أعداء الإسلام ، العلمانيون واللادينيون الذين يشوّهون الإسلام ، ويقولون : هؤلاء يقتلون الناس ، مع أن الإسلاميين يدينون هذا الأمر بأنفسهم بكل قوة ، حتّى في قلب المغرب نفسه ، حركة الإصلاح ، والعدل والإحسان ، كلهم دانوا هذا الأمر . فلماذا يُتهم الإسلاميون؟

معالجة العنف تبدأ بمعرفة أسبابه :

العنف لا يحارب بالعنف . أول ما ينبغي أن يحارب العنف ؛ أن نبدأ بمعرفة أسبابه ، ومعالجة هذه الأسباب ، قد يكون سبباً فكرياً ؛ نحاول أن نناقش هؤلاء ، وهنا نحاول أن نقنعهم ؛ فربما عادوا كما عادت الجماعة الإسلامية .

سيدنا علي ﷺ حينما أراد أن يحارب الخوارج ، قبل أن يحاربهم أرسل إليهم ابن عمه عبد الله بن عباس ، فجادلهم وحاجهم ، ورجع منهم أربعة آلاف ، عادوا إلى الحظيرة ، ورجعوا إلى الصراط المستقيم ، ومن ظل على رأيه شهر السيف فقاتل ، أما من لم يشهر السيف فلا يقاتل . سمع سيدنا علي ﷺ أحدهم يقول : لا حكم إلا لله . فقال : كلمة حق يراد بها باطل[1] ، ثم قال لهذا الشخص ومن معه : لكم علينا ثلاث : ألا نبدأكم بقتال ، وألا نمنعكم مساجد الله ، وأن نعطيكم حقكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا في الجهاد[2] . تركهم ؛ وهم يعلنون المعارضة ، ما دام مجرد رأي فليعلن عن رأيه ، ولكن لا يحمل السيف ، « من حمل علينا السلاح فليس منا[3] »، هكذا يقول النبي ﷺ .

إذا كانت القضية فكرية فلنناقشهم فكريا ، وإذا كانت القضية اجتماعية اقتصادية فلتحل عمليا ؛ فلنبدأ بالإصلاحات : الإصلاح السياسي ، والاجتماعي والاقتصادي ، بعض هؤلاء فقراء ، لا يكادون يملكون القوت ؛ في المغرب كما في كثير من البلاد العربية ، أناس معدمون لا يملكون شيئا ، هؤلاء لا بد أن نبحث عن حالهم ، أن نقيم العدل الاجتماعي ، ليس معقولاً أن يملك أناس القصور ، ولا يملك بعضهم كوخاً ؛ الرجل وزوجته وأولاده ؛ وربما كان معه أمه وأبوه يسكنون في غرفة ، في (البدروم) .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٥٧/٧) والبيهقي في الكبرى (١٨٤/٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٦٢/٧) والطبراني في الأوسط (٣٧٦/٧) ، والبيهقي في الكبرى (١٨٤/٨) عن علي ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف (٣٦٤/٦) ، وضعفه الألباني في مختصر إرواء الغليل (٢٤٦٧).

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في الفتن (٧٠٧١) ، ومسلم في الإيمان (١٠٠) رواه الترمذي في الحدود (١٤٥٩) وابن ماجه في الحدود (٢٥٧٧) عن أبي موسى ، كما رواه البخاري في الفتن (٧٠٧٠) ، ومسلم في الإيمان (٩٨) وأحمد في المسند (٤٤٦٧) ، والنسائي في تحريم الدم (٤١٠٠) عن ابن عمر.

ليس هذا عدلاً ، لا بد من إقامة العدالة للناس ، ولا بد من إزالة الأمية

للأسف البلاد الإسلامية من أكثر البلاد التي تنتشر فيها الأمية ، أمة (اقرأ) لا تقرأ ، الأمة التي أول آية في كتابها ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق:١) ، لا تعرف القراءة ، هذا عار وشنار ، ونقطة سوداء في جبين الأمة إلى اليوم ، لا بد من بذل الجهد في الإصلاح ، لا بد من إقامة العدالة ، لا بد من إتاحة فرص متكافئة للناس ، وبذلك نضيق من أسباب الغلو والتطرف ، وإذا ظهر غلو وتطرف سيظل محصوراً ، سيظل الشعب يقاومه قبل أن تقاومه الحكومة .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا ، اللهم لا تجعلنا ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا ، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومناً ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

* * *

OBEIKAN.COM